الفصل الثانى

أثر البيئة فى شعر ابن وكيع

أولا: استعماله للألفاظ

يغلب على أسلوب ابن وكيع السهولة المطلقة، لدرجة الاقتراب من العامية، وهى صفة سائدة عند الكثير من شعراء مصر، وإن كانت السهولة المخلة عيبًا عند بعض الشعراء، إلا أن ابن وكيع ليس منهم؛ لأن سهولته ليست مخلة، ومن الألفاظ العامية نجده استخدم لفظ (طارحًا بلحًا) فى قوله:

أما ترى النخل طارحًا بلحًا جاء بشيرًا بدولة الرطب

فلفظه (طارحًا) وما زالت تستعمل حتى اليوم على ألسنة العامة فى مصر، وقوله عن البلح مقمعات الرءوس بالذهب، وكلمة (مقمعات) كلمة دارجة مصرية ما زالت تستعمل حتى الآن فى مصر.

وقال فى مزدوجة الفصول الأربعة عند حديثه عن فصل الشتاء:

حسبك أن تندس فى اللحاف من خشية البرد على الأطراف

فلفظه (تندس) لفظة عامية شائعة الاستعمال على ألسنة العامة فى مصر حتى اليوم، وإن كان أصلها فصيحًا.

* وهذا لا يقلل من قيمتها التعبيرية، لأن اختيار ابن وكيع للألفاظ يتناسب مع أفكاره ومعانيه، بحيث يضع اللفظة الملائمة فى مكانها المناسب، وفى بيت آخر عن الشتاء يقول:

ورعدة تشغل عن كل عمل وتؤثر النوم وتستحلى الكسل

فلفظه (تستحلى) دارجة شائعة الاستعمال حتى الآن فى مصر، وإن كان أصلها عربيًا فصيحًا، وقد ذكرها فى موضع آخر.

فقال:

لا ووعـــد الوصل بـاللـحـ ـظ عـلى رغـم الرقـــيب

واخـتـــلاس القـبلـة الحلـ ـوة مـن خـــد الحـبـــيب

فلفظة (الحلوة) لفظه دراجة مصرية ما زلنا نستعملها حتى اليوم، برغم أصلها الفصيح الذى ورد فى الحديث الشريف: ذاق حلاوة الإيمان. . . إلخ.

وقد كررها مرة أخرى حين قال:

قم فاسقنى النص مما حرموه فما أرى من العيش حلواً غير ما قيل حرمًا

وهناك ألفاظ قريبة من العامية بدرجة كبيرة، كقوله عن فصل الخريف وأثره على إقفار الأرض من الزرع:

يخشى على الأجسام من آفاته فأرضه قرعاء من نباته

فقوله: (قرعاء) لفظه دارجة ما زالت تستعمل حتى اليوم فى لغة العوام فى مصر مع إهمال نطق الهمزة وقال:

أما ترى النخل حاملات بسرًا حكى لونه الشقيقا

وقال كذلك:

أما ترى البسر الذى قد حاز كل العجب

فكلمة (البسر) تستعمل حتى اليوم فى صعيد مصر بمعنى البلح الذى لم يكتمل نضجه، لكنهم ينطقوها بكسر الباء (البسر).

ومن الألفاظ الشائعة الاستخدام عند العوام كذلك قوله:

إن شـئت أن تصـبح بـين الورى مـا بـين شـتـامٍ ومـغـتـاب

فكـن عـبـــوسًـا تـلقـــاهم وخـــاطب النـاس بإعـــراب

فـقوله (شـتام) لفظـه ما زالت عند العـوام حتـى اليوم، برغم أصلهـا الفصيح، كقول عنترة فى معلقته:

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمى

وقول زهير: **ومن لا يتق الشتم يشتم**

إذ قرأنا مربعته التى يتغزل فيها بالغلام النصرانى (جرجس) نجده يقول:

معونة أرجو لها التنفيسا عن مهجة قاربت النسيسا

فلفظه (التنفيس) رغم الفصيح إلا أنها تسـتعمل بكثرة فى اللغة الدارجة فى مصر حتى اليـوم، ويمكن أن نضيف إلى ذلك استعمـال الشاعر للأعلام المسيحية خلال ابتـكاره الأسلوب الحجاج المنطقى، وهو مدخل طريف واخذه من فكرة قديمة فى الأدب الجاهلى وصدر الإسـلام، وهى (موت العاشق حبًا وولهًا بمحبـوبه)، ومن الدرجات الكنسية أو القبطية فى مـصر التى ذكرها فى شعره (الشـمامسة) - القسيس - الأسـقف - الرهبان - المطران - البطرك - الحبر) كما ذكر من الكتب (الزبور والإنجيل) بالإضافة إلى ذكره لليهود.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك قوله فى جواب دعوة إلى وجبة الرقاق التى اقترحها الشاعر:

صيرته يا ذا العلا السنية شابورة ليست لها سمية

والشابورة (قربان من قرابين النصارى)

وقال عن الخمر:

لها جيوش من الملاهى للهم قدامها الفرار

فكلمة (قدامها) شائعة الاستعمال فى عامية مصر.

ذكر الشاعـر نهر النيل فى مقطوعـة من كتاب "غرائب التنبـيهات على عجائب التشبيهات" لعلى بن ظافر الأزدى المصرى قال فيها:

قم يا غـــلام أدر على بســـحـــرة كأسًـا كطعم العيش بل هى أطيب
لا ســيـمـــا والنيل يلـمع فـوقـــه بدر لوقت مـــغـيـــبـه مـتـــصـوب
وكـــأن صـــفح الماء درج أبـيض فـيـه لضـوء البـــدر سطر مـذهب

ومن متعلقات نهر النيل ذكـره لنوع من أسماك النيل يسمى سمك الراى وفيه يقول:

بـدا لـــنـــا الـــرأى الـذى تـلـذ عـــــــينى مـنـظـره
فى قـــمص فـــضـــيـــة أذيالـهـا مـــعـــصـفـــره
عـــوضى الـقـــالـى بهـــا غـــلائلا مـــزعـــفـــره
وافـى به فـــــمـــــا رأتـــ ـه الـعـــين حـــتى لـم نره

ثانيًا: فكاهة الشاعر:

يتمتع شاعرنا ابن وكيع بروح الفكاهة والمرح، فهو شاعر ظريف، وهذه الصفة واضحة فى ثنايا شعره، وقد عـد بعض من كتبوا عن الظرفاء ابن المعتر والحسن بن هانئ "أباو نواس" من الظرفاء، وهما من أهم أساتذة ابن وكيع.

- يقول الدكـتور شاكر عـبد الحمـيد فى كتـابه "الفكاهة والضحك": أسهـمت فـئة من الظرفـاء فى إثراء الأدب والشعـر، وابتكار الصور وتوليـد المعـانى واختـرعهـا، ومنهم أبو نواس والحسـين بن الضحـاك وابن المعـتز، وغيـرهم ممن امتاز أسلوبهـم بالخفة والرشـاقة والعذوبة والطرافـة، فاشتـهره

أشعارهم وعرفت بهم، باسمهم منسوبة إليهم، ولا سيما الغزل، فقيل: "غزل الظرفاء" على سبيل الإعجاب والتقدير[١].

- فقد كان معنى الظرف فى البداية كما أشار الوشاء يتعلق بالسلوك المهذب الذى قال عنه: "ولن يكون الظريف ظريفًا حتى تجتمع فيه خصال أربع: الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة، وحيث لا يكون الظرف إلا فى اللسان... يقال عن فلان: ظريف، أى بليغ جيد المنطق.. ومنه حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إذا كان اللص ظريفًا لم يقطع. أى: لأنه يكون له لسان فيحتج به فيدفع عن نفسه"[٢].

وورد عن محمد بن سيرين قوله: "الظرف مشتق من الفطنة"، وقال غيره: "الظرف حسن الوجه والهيئة"[٣].

هكذا كان معنى الظرف مرتبطًا بطلاقة الوجه واللسان والملبس والعقل والعلاقات ونزاهة السلوك والأخلاق، وغير ذلك من المعانى التى تجمع بين الأخلاق الحسنة والأناقة"[٤].

ويرى الباحث محمود الحنفى ذهنى فى رسالته عن ابن وكيع أن الشاعر متهم فى دينه وفى سلوكه، فيقول: "ذكر خلكان عن ابن وكيع أنه ولد بتنيس وتوفى بها، ثم زاد على ذلك أنه بنيت له قبة دفن فيها، ولم يبين سبب بناء

---

(١) الفكاهة والضحك: رؤية جديدة - د/ شاكر عبد الحميد سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٨٩ يناير ٢٠٠٣ م ص ٢٨٢.

(٢) الوشاء: أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى ١٣٢٤ هـ الظرف والظرفاء بيروت عالم الكتب ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق ص ٣٣.

(٤) الفكاهة والضحك ص ٢٨٢.

هذه القبة له، وهذا يستحق وقفة متأملة؛ إذ لماذا بنيت له قبة دفن فيها؟ فالقباب عادة تبنى لأولياء الله الصالحين، ولست أخال أحداً من أهل تنيس يمكن أن يتعبره وليًا وهو المعروف عندهم بأنه شيخ الملاهى والغزل[1].

وهو نفسه يعترف بهذا فيقول فى وصف صحبه:

يكسد سوق الفتاة فيهم ظرفًا ولا يكسد الغلام
أئمة كلهم عليم بكل ما فعله أثام
لكننى فيهم على ما وصفت من فضلهم إمام

هذا بالإضافة إلى خمرياته التى هى فى جملتها انحراف عن الدين كقوله:

قم فاسقنى النص مما حرموه ولا تعرض لما كثرت فيه الأقاويل
من قهوة عتقت فى دنها حقبًا كأنها فى سواد الليل قنديل[2]
عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسها للمزج إكليل

- ونسى الباحث طبيعة أهل مصر التى حباهم الله بها، فهم يتمتعون بروح الفكاهة والظرف ويميلون إلى المرح والسرور فى كل عصورهم، وقد ورد فى كتاب "شاعر الدولة الفاطمية تميم بن المعز" قول ثيوكريتوس شاعر الإسكندرية القديم: "إنهم شعب ماكر، لاذع القول، روحه مرحة". ويقول جون ولسون: "إن الفلاح المصرى الأسبق - فلاح الأسرات الأولى - خفيف

(١) ابن وكيع التيسى شاعرًا وناقدًا - ماجستير للباحث محمود الحنفى ذهنى ١٩٥٣ م ص٣.
(٢) إبراهيم الدسوقى - شاعر الدولة الفاطمية تميم بن العز - دار النشر جامعة القاهرة ط ١٩٩٣ ص ١٩٨.

الروح، محب للسرور، وإنه بينما كان يؤدى أعماله كان يغنى ويضحك".

ثم يتحدث فى موضع آخر فيقول: "أما ما قلناه عن المصريين فإنهم قوم مرحون، يأخذون الأمور من ناحيتها المبسورة، وأنهم قوم محبون للسرور، ليس إلا حقيقة يجب علينا أن نؤكدها... وربما كانت سرعة بديهتهم، وحبهم للنكتة هما خير ما يمثل لنا حسن دمائة أخلاق المصريين، التى صبغت الخلق المصرى، وطبعته بطابعها القوى". ولا يزال المؤلف يردد هذه الفكرة، حتى يذكر أنهم توصلوا إلى استخدام الرسم الساخر بالكاريكاتير[1].

وكان الشيخ تاج الدين الغزاوى يقول: "إن الحكماء وأهل التجارب ذكروا أن من أقام ببغداد سنة وجد فى علمه زيادة، ومن أقام بالموصل سنة وجد فى عقله زيادة، ومن أقام بمصر سنة وجد فى أخلاقه رقة وحسنًا[2].

وتدل الشهادات السابقة والواقع على أن مصر بلد الفكاهة، وأن الفكاهة من السمات الشديدة الوضوح فى خلق أهلها، بله الشعراء والأدباء منهم"[3].

- وشاعرنا (ابن وكيع) شاعر ظريف يتمتع بروح الفكاهة والمرح، وهذه الصفة واضحة فى ثنايا شعره، فلو سلمنا للباحث محمود الحنفى برأيه فى انحراف ابن وكيع عن الدين بشربه للخمر، فلا يجب أن نسلم بأخذ كل ما تحت أيدينا من شعره هذا المأخذ؛ لأنه يقر بشرب الخمر، ولكنه قال شعره فى الغلاميات على سبيل الفكاهة والظرف فحسب، بدليل قوله مثلا:

يكسد سوق الفتاة فيهم ظرفًا ولا يكسد الغلام

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

فهو يذكر لفظة الظرف فى هذا البيت صراحة، وقد كررها فى مربعته فى التغزل بجرجس:

يا سيدى من دون ذا الميل التلف وشرط من كان ظريفًا فى القطف[1]

وقوله:

كسطور كسين نقطًا وشكلاً من يدى كاتب ظريف البنان[2]

- وبذلك يكون لفظ الظرف قد تكرر ثلاث مرات فيما تحت أيدينا من شعره، ولو فرضنا أنه لم يذكر لفظ الظروف سوى ثلاث مرات على مستى شعره كله، لكان كافيًا للدلالة على تعلق ذهن ابن وكيع بالظرف، خاصة إذا علمنا أن العلماء ممن سبقوا ابن وكيع قد كتبوا عن الظرف والظرفاء، مثل الوشاء (أبو الطيب بن إسحاق بن يحيى) وإذا ذكرنا الجاحظ ت ٢٥٥هـ، نذكر على الفور كتب: البخلاء والحيوان والبيان والتبيين، ورسائل الجاحظ وغير ذلك، مما ضم نوادر الظرفاء وأخبارهم، ولا يجب أن ننسى طبقات الشعراء لابن المعتز، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والأغانى للأصفهانى، وغير ذلك من كتب التراث التى اهتمت بهذه الظاهرة، ورصدت حكاياتها وإبداعاتها.

- ولا شك أن ابن وكيع قد قرأ الكثير من هذه الكتب التى سبقته، أو التى كان مؤلفوها معاصرين له؛ لأن ابن وكيع شاعر "ناقد وله كاتب" "المنصف" فى نقد المتنبى، الذى إن دل على شىء فإنما يدل على معرفة واسعه، واطلاع دءوب على التراث العربى وخاصة الشعر.

---

(١) القطف: كلمة مصحفة من القضب وهو المشى بتختر.

(٢) ادب مصر الإسلامية - وكيع التنيسى - شاعر الزهد والخمر ص ٤٧.

ومما يؤكد رأينا فى غلاميات ابن وكيع، وأنها على سبيل الفكاهة والظرف فحسب قول الحق سبحانه وتعالى عن الشعراء فى سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ صدق الله العظيم.

فقد أوضح الحق سبحانه وتعالى أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون بنص الآية الكريمة.

وهناك من الشعراء من تصل بهم المبالغات إلى حد الإحالة أو المستحيل، ومبالغات المتنبى مشهورة، وهو من المعاصرين لابن وكيع، كقوله مثلا:

كفى بجسمى نحولا أننى رجل ... لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأننى خير من تسعى به قدم

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ... وأسمعت كلماتى من به صمم[1]

أى محل أرتقى وأى عظيم أتقى ... وكل ما خلق الله وما لم يخلق

محتقر فى همتى كسعرة فى مفرقى

ومن المقطوعات المنسوبة لابن وكيع فى رسالة الماجستير للباحث محمود الحنفى ذهنى مقطوعة لم يثبتها أستاذنا الدكتور حسين نصار، ينفى فيها ابن وكيع عن نفسه الزنا، ورما لم يثبتها أستاذنا حسين نصار لفحش بعض ألفاظها، ويؤكد ذلك بقوله: لا تفعلى فلست بزانى

(١) ديوان المتنبى جـ ٢ ص ٨٢ - دار الكتاب العربى - تحقيق وشرح عبد الرحمن الدسوقى - بيروت - لبنان ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.

ويقول ابن وكيع:

بت ضيفًا لسيد يمنى ... والجود قدمًا يقال عنه يمانى

وأتت عرسه تغازل أيرى ... قلت لا تفعلى فلست بزانى

ولو أنى فعلت ما كنت ممن ... يتصدى لنسوة الأخوان

فأتانى وقال نكها بعيشٍ ... فهى موقوفة على الضيفان

قلت زدت فى الضيافة معنى ... ما عرفناه فى قديم الزمان

قال من أجل ذلك طار لى اسم ... وآلح الضيوف فى غشيانى

فمتى يدعى مع اسمى ضيوف ... قيل مرعى وليس كالسعدان[1]

- فهو هنا يجعل من (الديوث) صورة مضحكة للمتلقى، والأبيات الأول والخامس والسادس من قبيل (الهجاء فى معرض المدح)، والبيت الأخير من قبيل (التشبيه بالتلميح)، وهو اصطلاح بلاغى معناه أن يشير الشاعر إلى قصة مشهورة أو مثل أو نكته، كتمثيل يزيد به المعنى ملاحة، وقوله:

ولو أنى فعلت ما كنت ممن ... يتصدى لنسوة الأخوان

فهو شديد الحذر والحرص خوفًا من أن يصفه أحد بأنه يتصدى لنسوة الإخوان، والمقطوعة كما هو واضح مصنوعة على سبيل الفكاهة والظرف؛ لأنها تثير ضحك المتلقى برسم صورة ساخرة للديوث، وهى من مضحكات الطباع، وندل على عدم التلاؤم مع المجتمع ولذلك يمكن القول بأن اقترانه بأبى نواس ليس لمجرد ذكر الخمر؛ بل لأن الاتجاه واحد؛ من حيث شيوع

(١) رسالة ماجستير للباحث محمود الحنفى ذهنى ١٩٥٣ م حـ ٢ الملحق بالرسالة ص ٢٣

روح الفكاهة والظرف عند كليهما، حيث نجد أخبار الحسن بن هانئ (أبا نواس) منتشرة فى كتب الأدب القديمة مثل العقد الفريد، وحلبة الكيت والأغانى والبيان والتبيين وعيون الأخبار وسائر كتب التراث العربى, ويقول ابن وكيع:

إن شئت أن تصبح بين الورى ... ما بين شتامٍ ومغتابِ

فكن عبوسًا حين تلقاهم ... وخاطب الناس بإعراب

فهذان البيتان يوضحان حرص الشاعر على أن يكون حفيف الظل لدى الناس؛ ليكون نموذجًا للمصرى الأصيل المعرف بحرصه على الفكاهة والظرف فى كل العصور كما سبق أن أوضحنا.

وتمثلت الفكاهة فى مقطوعات أخرى، مما بقى تحت أيدينا من شعره، وهى مقطوعات تثير ضحك المتلقى، سواء كان سامعًا أو قارئًا، ومن هذه المقطوعات قوله:

يجمل البخل بالملاح وإن كا ... ن بغير الملاح غير جميل

كل من سره حبيب جواد ... فلتطب نفسه بقرنٍ طويل

وهذا يسمى فى اصطلاح البلاغيين بـ (التهكم) وأصلها التهدم، فهو يوعد بالبشارة لتهاونة بالمخاطب، فالشاعر هنا يفاجىء المتلقى بما لا يتوقعه، وهو بذلك يثير ضحكه؛ لأنه يمهد بكلام مقنع، وينهيه إنهاء مفجعًا أو مقزعًا، فلا يملك المتلقى نفسه فيستسلم للضحك؛ لأنه عندما يقول مثلا "فلتطب نفسه" فإن أذن المتلقى ونفسه ترتاح لطيب النفس عموما، لكنه يفاجأ بقوله بعدها مباشرة "بقرن طويل" كناية عن القيادة والديث"، وهذه المفارقة المفاجئة تبعث على الضحك، وسمى ذلك اصطلاحًا "التهكم" عند

البلاغيين المتأخرين، وهو اصطلاح" بلاغى يعنى مفاجأة الشاعر للمتلقى بما لا يتوقع، وهو موجود فى اساليب القرآن الكريم كقوله تعالى" ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾، وقوله تعالى: ﴿فأمه هاوية﴾. فهنا يبتدئ الحق سبحانه وتعالى الآية ابتداء سارًا، ثم ينهيها إنهاء مفزعًا مروعًا؛ فالبشارة فى الآية تعنى تلقى خبر مفرح، لكن ما إن تطمئن نفس المتلقى لذلك حتى يقول عجز الآية ﴿بعذاب أليم﴾، والآية الثانية يبتديها باسم الأم الذى يثير فى النفس معانى الرحمة والعطف والحنان، ثم يختمها بلفظة "هاوية"، أى: حفرة سحيقة من النار والعياذ بالله، وكذلك قوله تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا﴾ النساء ٤/ ١٣٨، وينطلق كلامنا على قوله عن أصحابه وعن نفسه.

أئمةً كلهم عليم بكل ما فعله آثام

لكننى فيهم على ما وصفت من فضلهم إمام

لأنه يستدرك بقوله "لكننى" فيتوقع المتلقى أنه سوف يعل عن نفسه عنهم، لكنه يفاجأ بقوله "إمام"، أى أنه فيهم إمام. المفاجأة الأخرى فى البيتين نجدها فى التمهيد فى البيت الأول بأنهم كلهم عليم بكل ما فعله آثام، ثم يفاجئنا ابن وكيع بقوله فى الجملة الاعتراضية: على ما وصفت من فضلهم؛ لأنه لم يصفهم بالفضل، وهى مقابلة ساخرة تدفع المتلقى إلى الضحك. ونجد هذا ينطبق كذلك على ما ورد فى البيت القائل:

أئمة كلهم عليم بكل ما فعله آثام

فذكره للأئمة والعلم يعتبر بداية أو مدخلا يتناول هذه المعانى الجليلة، لكن المتلقى يفاجأ بقوله "بكل ما فعله آثام" فهو تمهيد مقنع وإنهاء مفجع، فتحدث المفارقة، فيضحك المتلقى وهذا كله داخل فى (التهكم).

وقوله كذلك فى إحدى مقطوعاته فى التغزل بالغلام جرجس:

يا جـامع الحـسن كل حـسن للناس من شرطك اختـصـار
مـا فـضل الغـانيـات عندى عليك إلا امـرؤ حـمـار

- نلاحظ استخدام الشاعر للتهكم فى قوله" امرؤ حمار" ، والمقارنة واضحة فى قوله "امرؤ" ، ثم قوله بعدها مباشرة "حمار" مما يثير ضحك المتلقى.

- وهناك مقطوعات ساخرة يرسم فيها الشاعر صورة لشخصية تتسم بالبخل، وأخرى تتسم بالتهالك على جمع المال، فهو يقول فى بخيل:

يا جـامـعًـا زهو الملو ك ولؤم أخـلاق التجـار
ارجع إلى الـفـقـر القـديـ ـم فقد فسدت على اليسار
وخـطرت فـى سكـر الـغنـى وأمنت عـاقبـة الخـمـار
أبديت وجـهًـا لـلعـفـا ة مـقنـعـا بقناع عـار
لـو أنه لـقى الحـجـا ر الصم أثر عـلى الحجـار
أو كـان ترس مـحـاربٍ لارتد عـنه ذو الفـقـار

ويقول أيضا:

لـئـيـم لا يزال يـلم وفـرًا لوارثـة فـينـفح عن حـمـاه
ككلب الصيـد يمسك وهو طاوٍ فـريسـتـه ليـأكلهـا سـواه

وقوله عن ثقيل:

ما السقم فى سفرةٍ والدين مع عدمٍ يومًـا بأثـقل منه حـين يـلقـانى
مـا لى عليـه مـعين حين أبصره غـير الصـدود وتغـميض لأجفـان

وهذه الصور تدخل فى الطباع المضحكة، وهى حالات تدل على عدم تلاؤم تلك الطباع مع المجتمع، وقوله:

أقبل والعذاب يلحونني ... فكلهم قال من البدر

فقلت ذا من طال فى حبه ... منكم لى التعنيف والزجر

قالوا جهلنا فاغتفر جهلنا ... فليس عن ذا لامرئ صبر

عذرك فى الحب له واضح ... وما لنا فى لومنا عذر

ومرد النكتة هنا هو خلل القياس المنطقى بإهدار إحدى مقدماته أو تزييفها أو وصلها بحكم التورية ونحوها، مما لا تصل به فى حكم المنطق المستقيم، فتخرج النتيجة على غير ما يؤدى إليه العقل لو استقامت مقدمات القياس(١).

وكبرى فكاهاته تتمثل فى قصيدة مربعة فى التغزل بغلام نصرانى اسمه جرجس، وهى تدل على طول نفسه فى الشعر فضلاً عما تحتويه من فكاهة واستخدام الحجاج المنطقى وطرافة الفكرة.

وإذا رجعنا إلى قول الوشاء: ولن يكون الظريف ظريفًا حتى تجتمع فيه خصال أربع: الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة، وحيث لا يكون الظرف إلا فى اللسان.

وحاولنا تطبيق ذلك على شعر ابن وكيع، خاصة من حيث العفة، فإننا نجد بعض النصوص أو المقطوعات القليلة جدًا من النوع الذى يمكن اعتباره من الغزل العفيف، كقوله:

---

(١) جحا الضاحك المضحك - عباس محمود العقاد، نقلا عن مقدمة كتاب فى المرآة لعبد العزيزى البشرى - مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ م - الهيئة العامة للكتاب ص ٣١.

يا من إذا لاحت محاسن وجهه غفرت بدائعها جميع ذنوبه

النجم يعلم أن عيني في الدجى معقودةٌ بطلوعه وغروبه

إن كان في تعذيب قلبي راحة لك فاجتهد بالله في تعذيبه

لو كان سفك دمي إليك محببًا لرأيتني متضرجًا بصبيبه

ويمكننا فهم غزل ابن وكيع من خلال إدراكنا لتوجه الشاعر نفسه للفكاهة والظرف؛ حيث لا يكون الظرف إلا في اللسان، كما ذكر الوشاء في كتابه (الموشى في الظرف والظرفاء)، وبالإضافة إلى ابن وكيع كان لا يملك لسانه من الخروج عند حد الأدب، والمساس بحرمة الدين سواء كان في حالة سكر، أو في سياق مجون، فقد قال مثلا:

متنصر قويت على إسلامنا بالحسن منه حجة الكفر

قالوا أيصنع مثل هذا ربكم ويرى فساد صنيعه بالنار

ويدعم ذلك قول الحق سبحانه وتعالى عن الشعراء في الآية ٦٦ من سورة الشعراء: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ وابن وكيع داخل في نطاق الآية كغيره من الشعراء، وقد تكلم النقاد القدماء عن قضية الصدق والكذب في الشعر بما يدعم ذلك من أمثال (أحمد بن طباطبا العلوى وقدامة بن جعفر وحازم القرطاجنى وغيرهم) من النقاد، وقد انتهى بعضهم إلى إدخال ما كان يسمى كذبًا في الشعر إلى ما يسمى التخييل الشعرى، ورفض النقاد المحدثون الحكم على شعر شاعر ما من خلال الدين أو الأخلاق؛ لأن الدين موضوع خارج نطاق الشعر وكذلك الأخلاق، وأقروا فهم الشعر من خلال المقاييس والتقنيات الخاصة بالشعر، كفن مستقل بذاته بعيدًا عن الموضوعات الخارجة

عن طبيعة كالدين والأخلاق والمنطق وغير ذلك من سائر العلوم الأخرى، والتخييل عند حازم يعنى أن الشعر عملية تخييلية تتم فى رعاية العقل.

وقد يقول قائل: من أين أتى ابن وكيع بالفكاهة والظرف وخفة الروح، وهو من بنى ضبة أصلا من أرض اليمامة؟ ويرد على ذلك صاحب كتاب النكتة المصرية بقوله: "إن الذين يسكنون مصر من الغرباء والأجانب يتطبعون بطابع أهل مصر، فتخف روحهم ويتعودون النكتة، وإنك لتسمعها هناك من اليونانى والإيطالى والتركى"(١).

ثالثًا: تأثر (ابن وكيع) بالتراث:

أ) الاقتباس من القرآن الكريم:

تتغير المفاهيم والمصطلحات النقدية بمرور الزمن تبعًا لتطور النقد الأدبى، وعلى سبيل المثال اصطلح النقاد القدماء على أخذ شاعر عن شاعر سابق له زمنًا بـ (السرقات الشعرية)، ومن ذلك أخذ سلم الخاسر تلميذ بشار بن برد قول بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وصاغه من جديد بقوله:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز باللذة الجسور

فاعتبرها بشار سرقة شعرية، برغم استخدام سلم للفظة واحدة بدلا من لفظتين، فقد استبدل (الفاتك اللهج) بلفظة الجسور، كما استبدل (الطيبات)

---

(١) إبراهيم الدسوقى جاد الرب - تميم ابن المعز شاعر الدولة الفاطمية - مركز النشر جامعة القاهرة ١٩٩١ م - ص ٢٠٠.

بـ (اللذة). وظل هذا المصطلح سائراً حتى اعتبر بعض النقاد (السرقات الشعرية) مجرد (اقتباس)، حتى أجازوا الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ما دام ذلك فى المعانى الشريفة كقول الإمام أبى القاسم الرافعى:

الملك لله الذى عنت الوجوه له ... وذلت عنده الأرباب

متفرد بالملك والسلطان قد خسر ... الذين تجاذبوه وخابوا

دعهم وزعم الملك يوم غرورهم ... فيستعملون غدا من الكذاب[1]

وروى البيقهى فى شعب الإيمان عن شيخة أبى عبد الرحمن السلمى قال أنشدنا أحمد بن يزيد لنفسه:

سل الله واتقه ... فإن التقى خير ما تكتسب

ومن يتق الله يصنع له ... ويرزقه من حيث لا يحتسب[2]

وذكر الشيخ تاج الدين السبكى فى طبقاته فى ترجمة الإمام أبى منصور عبد الظاهر بن التميمى البغدادى من كبار الشافعية وأجلائهم أن من شعره قوله:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ... ثم انتهى ارعوى ثم اعترف

ابشر بقول الله فى آياته ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وفى جواز التوجيه بالألفاظ القرآنية فى الشعر وغيره عن الشريف تقى الدين الحسينى

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ١١٣ السيوطى - النوع الرابع والثلاثون - الفصل الرابع فى الاقتباس وما جرى مجراه - دار الفكر العربى بيروت - لبنان.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ١١٣ السيوطى - النوع الرابع والثلاثون - الفصل الرابع فى الاقتباس وما جرى مجراه - دار الفكر العربى - بيروت - لبنان.

مجاز حقيقتها فاغتبروا ولا تعمروا هونوها تهن

ما حسن بيت له زخرف تراه إذا زلزلت لم يكن[1]

وبالنظر إلى ما بين أيدينا مما تبقى من شعر ابن وكيع نراه متأثرًا بالقرآن الكريم مستخدمًا ألفاظًا وتعبيرات قرآنية، ومنها قوله:

فصل من الدهر إذا قيل حضر أذكرنا بحره نار سقر

فقد وردت لفظه (سقر) فى قوله تعالى: ﴿... ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر].

وفى قوله تعالى: ﴿سأُصْليه سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ [المدثر].

وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر].

ويقول ابن وكيع:

فتحت النار له أبوابها وشب فيها مالك شهابها

فقد وردت لفظة (أبوابها) فى قوله تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ... ﴿٧١﴾﴾ [الزمر]. ففيها لفظته: ﴿فُتِحَتْ﴾ ولفظة ﴿أَبْوَابُهَا﴾.

أما لفظة (مالك) فقد وردت فى قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

ويقول ابن وكيع فى حديثه عن فصل الصيف، وتأثر الناس به

---

(١) المصدر السابق ص ١١٣.

شاربه يكرع فى حميم　　كأنه من ساكنى الجحيم

فقد وردت لفظة (حميم) فى قوله تعالى:

﴿ ... لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنعام].

أما لفظة الجحيم فقد وردت خمسًا وعشرين مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ ﴾ [التكوير]، وقوله تعالى: ﴿ ... وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة]، أما لفظة (يكرع) فهى ترادف لفظة يجرع أو (يتجرع) التى وردت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ... ﴿١٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

فمن المعروف أنه إذا اتفقت كلمتان فى كل الحروف عدا حرف واحد فإن المعنى يكون واحدًا، مثل رجل خبيث وتقال (النبيث)[1] كقول أبى العلاء المعرى:

أرانى فى الثلاثة من سجونى　　فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدى ناظرى ولزوم بيتى　　وكون النفس فى الجسم الخبيث

وقول ابن المعتز:

ظبى يرى طرفه فيرجمه　　وهو سوى ذاك ليث عريس

عريس أى عرين الأسد، ويقال: خاس النخل أى خاب، ويقال أيضًا احتفال واحتفاء وقال ابن وكيع عن الساقى أو الساقية التى تقدم الخمر له ولأصحابه.

---

(١) النبيث: الخبيث الذى يتتبع عيوب الناس وهى من النبث أى النبش أى محفور (المعجم الوسيط).

من كف ظبى من بنى النصارى ألبابنا فى حسنه حيارى

إذا بدا جماله لذى النظر قال تعالى الله ما هذا بشر

(النصارى) هم الذين ناصروا المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وربما تكون نسبة إلى (الناصرة) بفلسطين، وقد وردت هذه اللفظة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وقالتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ علىٰ شَيءٍ وَقالتِ النَّصارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ علَىٰ شَيءٍ ... ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى فى السورة نفسها: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كانَ هُوداً أَوْ نصَارَىٰ ... ﴿١١١﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى فى السورة نفسها: ﴿إِنَّ الَّذينَ آمنُوا وَالَّذينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ ... ﴿٦٢﴾﴾ [لبقرة].

أما الشطرة الصانية من البيت الثانى لابن وكيع القائل:

إذا بدا جماله لذى النظر قال تعالى الله ما هذا بشر

فقد ورد فى سورة يوسف قوله تعالى: ﴿... وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف].

وقال:

مزنر شككنى فى دينه حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر

لأنه كالحور فى تصويره والحور لا يسكنها الله سقر

وردت لفظة (الحور) فى قوله تعالى: ﴿كَذَلِك وزوَّجْنَاهُم بحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدخان].

وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤ الْمَكْنُون ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة].

وقوله تعالى: ﴿... وزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور].

وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن].

وقال ابن وكيع:

يا لك منه منظراً أشهى إلى قلبى من جنة عدن أو أسر

فقد ورد فى التعبير (جنة عدن) فى القرآن الكريم على صورة الجمع، كقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ... ﴿٣١﴾﴾ [النحل].

وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ... ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر].

وقال ابن وكيع فى نحوى معاصر له:

يحسن النحو فى الخطابة والشعر وفى لفظ سورة وكتاب

فإذا ما تجاوز النحو هذى فهو شىء من المسامع ناب

ولفظ (سورة) ورد فى قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ... ﴿١﴾﴾ [النور]، وقد وردت عشر مرات فى كتاب الله تعالى.

ولفظ (كتاب) ورد فى قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ... ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ... ﴿٢﴾﴾ [الأعراف].

وقد ورد لفظ (الكتاب، كتاب) مائتين وست وخمسين مرة فى القرآن الكريم.

وقال ابن وكيع:

قم فاسقنى والخليج مضطرب والريح تثنى ذوائب القضب

كأنها والرياح تعطفها صف قنا سندسية العذب

وردت لفظة الرياح كقوله تعالى: ﴿... وتصْرِيف الرِّيَاحِ والسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ... ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة].

ولفظة الريح فى قوله تعالى: ﴿... حَتَّىٰ إذا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ... ﴿٢٢﴾﴾ [يونس].

وردت لفظة سندس فى قوله تعالى: ﴿... وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ ... ﴿٣١﴾﴾ [الكهف].

وقوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ من سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان].

وقوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ ... ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان].

وقال ابن وكيع:

بيت من الحسن لى إليه حج مدى الدهر واعتمار

زيارة البيت كل عام ودهر ذا كله يزار

نراه متأثرًا بقوله تعالى: ﴿وأتِمُّوا الْحجَّ وَالْعُمرَةَ لِلَّهِ ... ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ من اسْتَطَاعَ إِلَيْه سبيلاً ... ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿... فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أو اعْتَمَر ... ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة].

أما قوله: زمن أغر فلو شربت بطيبه طيب الجنان لكان أربح متجر

فقد جمعت جنة فى القرآن على جنات، وليس على جنان كما ورد فى شعره.

(ب) التناص فى شعر ابن وكيع:

تتمثل الإشكالية التى يطرحها مفهوم التناص فى مسألتين اثنتين، تتصلان مع بعضهما البعض اتصالا وثيقًا، وتتحدد المسألة الأولى بتعدد التعريفات والمفاهيم التى قدمت لهذا المصطلح فى مصادره الأولى، والناجمة عن الاختلاف فى طبيعة الفهم الذى يمتلكه أصحاب هذه النظرية عن النص، فى حين أن المسألة الثانية تكمن فى تعدد المصطلحات، وغياب الضبط المنهجى المتكامل والواضح لأسباب تتصل بتعدد الاتجاهات والمساهمات النقدية الأخرى كالبنيوية والنفسية وغيرهما، بحيث أدى كل هذا إلى عدم وضوح الحدود الفاصلة والتحديات التى قدمت للمفاهيم والمقولات والأنماط التى تشكل الأساس الذى قامت عليه نظرية التناص فى مدوناتها المختلفة[1].

ولعل المشكلة الأساسية تتحدد فى نقل المصطلح النقدى وتحديد معناه ودلالته، فقد نجد للمصطلح أو المفهوم أسماء وتعريفات كثيرة، تختلف باختلاف المترجم وخلفيته المعرفية وفهمه للمصطلح أو المفهوم، لقد ظهر مصطلح التناص عام ١٩٦٦ م على يد جوليا كريستيفا فى دراستها عن دويستو فسكى ودابلى، وكان أول من أشار إليه هو شكوفسكى، عندما ربط بين فهم العمل الفنى وعلاقته بالأعمال الفنية الأخرى استنادًا إلى الترابطات القائمة فيما بينهما. ولكن الأصول الأولى تعود إلى الناقد الروسى باختين الذى أسس له نظريًا فى كتابه [شعرية دويستوفسكى] ودعاه بالحوارية، حتى

(١) مجلة آفاق أدبية العدد ٥٥ - مقالة بقلم مفيد نجم ص ١ - ٣.

جاءت كريستيفا وصاغتـه بشكل متطور وجديد، وقد التقى حول هذا المفهوم فيما بعد عدد من النقاد الغربيين أمثال رولان بارت، فيليب سولرس وهاربلوم وآخرين. إن مشكلة التعريف بهذا المصطلح وتعدد دلالاته ومفاهيمة فى النقد العربى والدراسـات النقدية تكمن فى أن أغلب التـرجمات التى قـدمت حتى الآن هى ترجمات وتلخـيص لدراسات متفرقة لبـعض أصحاب هذه النظرية، ولا تزال الترجمات المتكاملة لأصول الكتب والأبحاث التى قدمت فى اللغات الأوربية محـدودة، ولذلك فإن هذه الترجمات لا تـشكل قاعدة معرفـية غنية للتعـريف بالقضـايا والفاهيم والإشكالات والاتجاهات المخـتلفة التى اشـتمل عليهـا تاريخ هذا المصطلح، واتخذ صياغـاته المتباينة، ومع العلم أن مـؤسسة هذه النظرية قد تراجعت عنها فى عام ١٩٤٨ م، ويلغى مفهوم التناص الحدود بين الأدب والفنون الأخرى، ويجعلها مفتوحـة على بعضها البعض، كما أن التناص ينقـسم إلى نوعـين أسـاسيـين همـا التناص الظاهر، ويدخل ضـمنه الاقتباس والتضمين، وتسمى أيضًا الاقتباس الواعى أو الشعورى؛ لأن المؤلف يكون واعيًا به، فى حين أن التناص الـثانى هو التناص اللاشعورى، أو تناص الخفـاء وفيه يكون المؤلف غيـر واع بحضور النص أو النصـوص الأخرى فى نصـه الذى يكتبـه، ويقوم هذا التـناص بالامتـصاص والتـحويل والتـذويب والتفاعل النصى، والحقيقة أن هناك نوعين آخرين من التناص هما:

١ - التناص الداخلى المتـمثـل فى إعادة الشـاعر أو الكتـاب لإنتاجـه السابق.

٢ - التناص الخـارجى الحاصل من التـقـاء وتقاطع النص مع نصـوص أخرى غير نصوص الكاتب أو الشاعر.

ومن النوع الأول قول ابن وكيع:

كـأنهـا تحـتـه كـمـيت عليـه من فـضـة لجـام
كـأنهـا تحـتـه كـمـيت عليـه من فـضـه عـذار
عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسـهـا تاج من الحـبب

وقوله:

عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسها للمزج إكليل

ومن النوع الثانى ما ورد فى شعره متأثرًا فيه بالشعراء السابقين.

وبالنظر إلى ما تحت أيدينا من شعر ابن وكيع نجد قوله:-

ألست ترى وشى الربيع المنمنما ومـا رصع الربعى فـيه ونظمـا
فقد حكت الأرض السماء بنورها فلم أدر فى التشبيه أيهما السما
فخضرتها كالجو فى حسن لونه وأنوارها تحكى لعينك أنجما[1]

ويبدو تأثره بما نظمه البحترى فى الربيع واضحًا من قصيدة يمدح فيه الهيثم بن عثمان الغنو فهى ٣٣ بيتًا ومطلعها:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز فى غلس الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه يبث حديثًا كان أمس مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نشرت وشيا منمنما
ورق نسيم الريح حتى حسبته يجىء بأنفاس الأحبة نعما

(١) ابن وكيع شاعر الزهر والخمر ص ٩٢.

فما يحبس الراح التى أنت خلها ... وما يمنع الأوتار أن تترنما

وما زلت شمسًا للندامى إذ انتشوا ... وراحوا بدورًا يستحثون أنجما[1]

والتأثر واضح؛ لأن الموضوع واحد والقافية واحدة وقصيدة البحترى مشهورة جدًا وسابقة لشعر ابن وكيع، حتى أنه استخدم الكثير من ألفاظها مثل (الربيع - الوشى - المنمنم - أنجما... إلخ).

ومن تشابه القافية فى القصيدتين نجد البحترى يقول فى أبياتها وهو البيت الرابع بالذات.

ويوم تلاقى فى فراق شهدته ... بعين إذا نهنهتها دمعت دما

ويقول ابن وكيع فى النرجس:

وأبدى على الورد الجنى تطاولا ... فأظهر غيظ الورد فى خده دما

يقول البحترى عن الهيثم بن عثمان ممدوحه فى البيت رقم ١٢ من القصيدة:

هو الموت ويل منه لا تلق حده ... فموتك أن تلقاه فى النقع معلمًا

يقول ابن وكيع فى السوس:

تجللبت من رزق اليواقيت خلة ... فأغرب فى الملبوس منه وأعلما

ويقول البحترى فى البيت رقم ٢٠ من القصيدة:

إذ معشر جاوروك فى إثر سؤدد ... تأخر من مسعاتهم ما تقدما[2]

---

(١) ديوان البحترى المجلد الرابع دار المعارف سلسلة ذخائر العرب رقم ٣٤. شرح وتحقيق حسن كامل الصيرفى ص ٢٠٨٩ - ٢٠٩٢.

(٢) ديوان البحترى ص ٢٠٨٩ دار المعارف.

ويقول ابن وكيع:

وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلا وقدما[1]

ويقول البحترى من القصيدة نفسها (البيت رقم ٢٩)

متحدثًا عن الربيع:

أحل فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين إذ كان محرما

ويقول ابن وكيع:

قم فاسقنى النص مما حرموه فما أرى من العيش حلواً غير ما قيل حرما

وبهذا يبدو أن التشابه واضح كل الوضوح من خلال القافية فى القصيدتين، وكذلك من خلال استخدام نفس الألفاظ أو ما يشتق منها والقصيدتان تتناولان الربيع، وإن كان البحترى يتحدث عن الربيع من خلال قصيدة المدح، وابن وكيع يتحدث عن الربيع من خلال الوصف وقال ابن وكيع:

بيت من الحسن لى إليه حج مدى الدهر واعتمار

زيارة البيت كل عام ودهر ذا كله يزار

وأراه متأثرًا فى هذين البيتين بقول ابن المعتمر:

كأن أرواح أهل العشق سائرة إلى جمالك بالتقريب والعنق

تؤم كعبة حسن خالها حجر فى الخد أسوده فى أبيض يقق[2]

---

(١) ابن وكيع التنيسى شاعر الزهر والخمر ص ٩٢.

(٢) واليقق الأبيض الناصع

وقال ابن وكيع:

وخشخاش كأنا منه نفرى قميص زبرجد عن جسم در
كأقداح من البلور صيغت بأغشية من الديباج خضر

وقال ابن المعتز:

وفرش الخشخاش جيبًا وفتق كأنه مصاحف بيض الورق
حتى إذا ما انتشرت أوراقه وكاد أن يرى إلينا ساقه
صار كأقداح من البلور كأنما تجسمت من نور[1]

والتشبيه يكاد يكون واحدًا، والتأثر بابن المعتز واضح، وقد وجدت بعض المقطوعات المنسوبة لابن وكيع منسوبة لغيره، ومنها المقطوعة التى يقول فيها:

غدير يجعد أمواهه هبوب الرياح ومر الصبا
إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمته جوشنا مذهبًا

وقد بين أستاذنا الأستاذ الدكتور حسين نصار مصادرها وهى.

١ - حلبة الكميت ص ١٣٣ وفيها يقول: (غدير ترجرج أمواجه) بدلا من (غدير يجعد أمواهه).

٢ - حسن المحاضرة للسيوطى ٣ - ٢٧٧.

٣ - الرسالة المصرية لابن الصلت ٣٢ (غدير يدرج أمواجه) لكنى وجدت الأبيات نفسها فى ديوان ابن العتز العباسى كالآتى:

(١) ديوان ابن المعتز/ مطبعة الإقبال - بيروت ص ٣٠٧ شرح وتحقيق محيى الدين الخياط ١٣١٣ هـ

غـــدير ترجـــرج أمـــواهه هبـــوب الرياح ومـــر الصبـــا

إذا الشـمـس من فـوقـه أشـرقت توهمـتـه جـوشـنا مـذهبًـا[1]

وهذا الديوان طبع بمناظرة والتـزام عبد الباسط الأنسى صـاحب جريدة الإقبال - طبع بمطبعة الإقبال ببيروت، وهذه الأبيات موجودة كذلك فى ديوان تميم بن المعتز.

وهناك مقطوعة أخـرى تتكون من بيتين كذلك تنـسب لابن وكيع، وقد ذكر أستاذنا الدكتور حسين نصار مصادرها وفيها يقول:

شـربت مـجـاج الكرم تحت ظلاله على وجه مـعشوق الشمائـل أغيد

كـأن عناقـيـد الكـروم وظلهـا كـواكـب در فى سـمـاء زبـرجـد

ومصادر هذه المقطوعة التى ذكرها أستاذنا الدكتور حسين نصار هى:

أ - مبـاهج الفكر: الفن الرابع ص ٣٨٦ لكنى وجدتـها فى ديوان ابن المعتز، ويقول فيها:

شـربنا عـصـيـر الكرم تحت ظلاله على وجه مـعشوق الشمائـل أغيد

كـأن عناقـيـد الكـروم وظلهـا كـواكـب در فى سـماء زبرجـد[2]

وقد أورد أستاذنا الدكتور حسين نصار فيما جمع من شعر ابن وكيع فى قافية الدال ص ٤٣: قال الثعالبى فى تتمـة اليتيمة: أنشدنى الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحـسن أيده الله تعالى قال: أنشدنى أبو الحسن محـمد بن الحسين

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ١١٦ من الباب الثامن - قافية الدال.

العثمانى قال: أنشدنا القاضى ابن البساط البغدادى لابن وكيع التنيسى، وهو أحسن ما قيل فى مدح السفر:

تغرب على اسم الله ولاتمس الغنى وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرج نفس والتماس معيشة وعلم وآداب ورفقة ماجد
فإن قيل فى الأسفار ذل وغربة وتشتيت شمل وارتكاب شدائد
فللموت خير للفتى من مقامه بدار هوان بين ضد وحاسد

مصادرها تتمة اليتيمة ١ - ٣٠

وقد وجدت فى ديوان الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قوله:

تغرب عن الأوطان فى طلب العلى وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصبة ماجد
فإن قيل فى الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافى وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من قيامه بدار هوان بين واش وحاسد

مطابع دير سات ط ١٣٠٧١ ص ٣٥

أما ترى الليل قد ولت عساكره وأقبل الصبح فى جيش له لجب

ووجدت فى شعر ابن وكيع بيتًا مكررًا تقريبًا وهو عن الخمر يقول فيه:

عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسها تاج من الحبب

والبيت الثانى يقول من:

عروس كرم أتت تختال فى حلل صفر على رأسها للمزج إكليل

وقال ابن وكيع فى (خمرية):

١ - علل فـؤادك والدنيـا أعـاليل ... لا يشغلك عن اللهـو الأباطيل

٢ - ولا يصدنك عن أمـر هممت به ... من العـواذل لا قـال ولا قـيل

٣ - فـخير يوميك يوم أتت فيـه إذا ... ميزت فى الناس محمود ومعذول

٤ - وإن أتوك فقـالوا كن خليفـتنا ... فقل لهم إننى عن ذاك مـشغول

٥ - فـإن ذلك أمـر مع نفـاسـتـه ... ونبله بـفناء العـمـر مـوصـول

٦ - وارض الخـمول فـلا يحظى بلذته ... إلا امرؤ خامل فى الناس مجهول

٧ - ولا تبع عـاجل الدنيـا بـآجل مـا ... ترجـو فذلك أمـر شـأنه الطول

وآراه متأثرًا بقول ابن المعتز:

ألا عـلانى إنما العـيش تعليل ... ومـا لحـساة بعـدهـا ميـتـة طول

دعـانى من الدنيا أذل مـن نعيـمهـا ... فـإنى عنهـا بـعـد ذلك مـشغـول

خـذا لذة من سـاعـة مـستـعـارة ... فليس لتعـويق الحوادث تمثيل[1]

ونلاحظ هنا أن الموضـوع واحد، وهو الدعوة إلى اللهـو واللذة والنيل من نعيم الحياة قـبل النهاية المحتومة بانقضاء الأجـل مع البعد عن أخذ النفس بحياة الجد والطموح السياسى.

ونلاحظ كـذلك أن القافـية واحدة عنـد الشاعريـن، وهى قافيـة اللام المضمومة مما يؤكد تأثر ابن وكيع بأستاذه ابن المعتز.

---

(١) ديوان ابن المعتز - مطبعة الإقبال - بيروت - تحقيق محيى الدين الخيط

حد الخمر: سورتها وجدتها، صفق الخمر: روقها وصفارها

ويبدو تأثره كذلك بقصيدة كعب بن زهير (البردة) التى قالها بين يدى رسول الله ﷺ من حيث الوزن، وكذلك بعض الألفاظ

ويقول ابن وكيع:

وكأس مثل عين الديك صرف لها حبب كمنظوم الجمان

ووصف الكأس بعين الديك من حيث صفاء والاستدارة والبريق تشبيه ورد عن بعض شعراء الجاهلية، وعند أبى نواس وابن المعتز وغيرهما ممن وصفوا الخمر فهو تشبيه تراثى موجود فى ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) فى قوله:

وكأس كعين الديك باكرت حدها بفتيان صدق والنواقيس تضرب

سلاف كأن الزعفران وعندما يصفق فى ناجودها ثم تقطب[1]

وتناول الحسن بن هانئ تشبيه الكأس بعين الديك فقال:

واشرب سلافًا كعين الديك صافية من كف ساقية كالريم حوراء

وقال:

لا تبرحن فقد كرت قوافرها واشرب عقارًا كعين الديك ندمانى

من سلسبيل إذا ما الماء خالطها فاحت كما فاح تفاح بلبنان

كما ورد تشبيه الكأس بعين الديك عند شعراء آخرين مثل السراج الوراق فى قوله:

كأنى سلبت الديك فى الكأس عينه فقام مروعًا من كراه يصيح

---

(١) العندم: شجر له عروق يصبغ به ناجود الخمر: إناء الخمر الفخارى
قطب الخمر: مزجها الذى تحفظ فيه الخمر وهو الباطية

وقال القيراطى:

قهوة فى الكأس منها ذوب تبر فى لجين

فإذا الديم رآها قال أفديك بعينى

وقال ابن نباته:

وتياه سمحت له بروحى يرى أن السماح من الرياح

تحمر وجهه الكاسات زهوًا ويضحك فى الرياض على الأقاح

إلى قوله:

عشوت لكأسه لا للثريا ونسر الليل خفاق الجناح

كأنى قد سلبت الديك عينًا فثار من المنام إلى الصياح

ونستنتج مما سبق أن ابن وكيه كان متابعًا لأستاذه أبا نواس الذى أخذ المعنى ممن سبقوه من الشعراء ولم يكن ابن وكيع وحده فى هذا الشأن لأن التشبيه مطروق متداول عند غيره من الشعراء السابقين له واللاحقين به.

قال ابن المعتز:

قم يا خليلى إلى اللذات والطرب لا صبر لى عند بنات الكرم والعنب

أما ترى الليل قد ولت عساكره وأقبل الصبح فى جيش له لجب

كأنما كأسنا من قشر لؤلؤة والماء من فضه والراح من ذهب

وقال ابن وكيع متأثرًا بهذه الأبيات:

أما ترى الليل قد ولت عساكره وأقبل الصبح فى جيش له لجب

وجد فيأثر الجوزاء يطلبها فى الجو ركض هلال دائم الطلب

كصولجان لجين فى يدى ملك أدناه من كرة صيغت من الذهب

ويبدو تأثر ابن وكيع واضحًا فى هذه المقطوعة.

وقال يزيد بن معاوية متحدثًا عن الخمر:

إذا ما طغا فيها المزاج حسبتها كواكب در فى سماء عقيق
تدب دبيب لبرء فى كل مفصل وتكسو وجوه الشرب ثوب شقيق

فقال ابن وكيع:

وصفراء من ماء الكروم كأنها فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت قميص بهار من قميص شقيق[1]

ويبدو تأثر ابن وكيع واضحًا فى هذه المقطوعة، ومن المعلوم لدارسى الأدب العربى أن أبا نواس واحد من زعماء التجديد فى الشعر العربى، وذلك لأنه جدد فى مطالع أو افتتاحيات القصائد العربية، وهاجم كل الشعراء العرب الذين تشبثوا بالمطلع الطلى وكذلك الغزلى، ودعا بكل جهده إلى جعل المطلع فى القصيدة العربية خمريًا، ولذلك نجده يقول:

يا واصف البيد والفقار ويا واصفًا سرابها ومكاها
وواصف الربع والرياض وما أشرق من ينعها وبهاها
أحسن من ذلك نعت صافية تنزو إذا ما تدرعت ماها[2]

(١) حلبة الكميت ص ١١٣ ط الذخائر ١٩٩٨ م العدد رقم ٢٧ ص ١١٣

(٢) ديوان أبى نواس "الحسن بن هانئ" شرح محمود أفندى واصف ط ١ - المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨ م ص ٢٤٠

وقال كذلك:

أيا باكى الأطلال غيرها البلى ... بكيت بعين لا يجف لها غرب
أتنعت دارًا قد عفت وتغيرت ... فإنى لما سالمت من نعتها حرب[1]

وقال:

دع الأطلال تسفيها الجنوب ... وتبلى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضًا ... تخب بها النجيبة والنجيب
بلاد نبتها عشر وطلح ... وأكثر صيدها ضبع وذيب[2]

وقال:

دع الربع ما للربيع فيك نصيب ... وما إن سبتنى زينب وكعوب[3]

وقال:

يا أيها العاذل دع ملحاتى ... ودع رسوم الدار والآيات
والوصف للمومأة والفلاة ... دراسة وغير دارسات[4]

وقال:

قل لمن يبكى على رسم درس ... واقفًا ما ضر لو كان جلس
تصف الربع وما كان بها ... مثل سليمى ولبينى وخلس
اترك الربع وسلمى جانبًا ... واصطبح كرخية مثل القبس[5]

(١) المصدر السابق ص ٢٤٣.
(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤.
(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥.
(٤) المصدر السابق ص ٢٥٣.
(٥) المصدر السابق ص ٢٩٩.

وقال:

دع الوقوف على رسم وأطلال ودمنة كسحيق اليمنة البالى[1]

فتابعه ابن وكيع فى هذه الدعوة، وقال فى حديثه عن الغزل والربيع والخمر:

ذا العيش لا نعت المهامه والفلا وسؤال رسم الدار والأحجار

لا فرج الرحمن كربة جاهل يبكى على الأطلال والآثار[2]

رابعًا: الظرف وأثره على تشبيهات ابن وكيع ومتابعته لأبى نواس:

كان ابن وكيع مغرمًا بمغازلة المناطق المحزورة فى الشعر، التى لا يجب الاقتراب منها، لأنها تمس الدين مما دفع إلى اتهامه بالانحراف عن دينه، وتشابه أقواله بأقوال الزنادقة ومنها قوله متغزلا:

بيت من الحسن لى إليه حج مدى الدهر واعتمار

زيارة البيت كل عام ودهر ذا كله يزار

وقوله:

منتصر قويت على إسلامنا بالحسن منه حجة الكفار

قالوا أيصنع مثل هذا ربكم ويرى فساد صنيعه بالنار

فهو فى البيتين الأولين يقارن بين زيارته لمحبوبته وزيارة البيت الحرام، وفى البيتين التاليين يدعى غلبة حجة الكفار على الإسلام بحسن هذه الفتاة

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٩.

النصرانية، أو هذا الفتى النصرانى على اعتبار أن الذى يصمع شيئًا جميلا لا يحب إفساده، وهى مغالطة جلية؛ لأن هذا الحجاج قد يصلح مع صناعى البشر، لكنه لا يصلح مع رب البشر وخالقهم لأنه يخلق (بكن) أو الأمر المباشر: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء].

ولا نجد من البشر مهما أوتى من العلم أن يقدر العقوبة، لأى جريمة مثلما يقدرها الحق سبحانه وتعالى، فالذين تحدث عنهم ابن وكيع هنا ليسوا أحن على الخلق من رب الخلائق أجمعين، وقال ابن وكيع:

زمن أغر فلو شريت بطيبه طيب الجنان لكان أربح متجر

وفى حديثه عن فصل الشتاء قال:

قبح فصلا فوق ما ذممته لو أنه يظهر لى قتلته

حتى إذا ما هو عنا بانا وزال عنا بعضه لا كانا

وهذا يدخله فيمن يسبون الدهر كأبى تمام القائل:

فلو ذهبت سنات الدهر عنه وألقى عن مناكبه الدثار

لعدل قسمة الأرزاق فينا ولكن دهرنا هذا حمار[1]

* وقال ابن وكيع:

مزنر شككنى فى دينه حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر

لأنه كالحوار فى تصويره والحور لا يسكنها الله سقر

---

(١) ديوان أبى تمام ط - دار المعارف جـ ٢ ص ١٥٤.

فقوله: (أحلت الكفر فيمن قد كفر) أى غيرت اعتقادى فى كفر الكفار.

وقال:

لا تقبلن من الرشيد كلامه ... وإذا دعاك أخو الغواية فاسمع

ودع التزهد والتجمل للورى ... فالعيش ليس يطيب للمتورع

وقال:

ولا تبغ عاجل الدنيا بآجل ما ... ترجو فذاك أمر شأنه الطول

إلى قوله:

قم فاسقنى النص مما حرمون ولا ... تعرض لما كثرت فيه الأقاويل

من قهوة عتقت فى دنها حقبًا ... كأنها فى سواد الليل قنديل

وقال:

اشرب فقد طابت المدام ... وافتر عن ثغره الغمام

من قهوة حرمت علينا ... والصبر عن مثلها حرام

إلى قوله:

فى فتية كلهم كريم ... وخير من يصحب الكرام

يكسد سوق الفتا فيهم ... ظرفًا ولا يكسد الغلام

أئمة كلهم عليم ... بكل ما فعله أثام

لكننى فيهم على ما ... وصفت من فضلهم إمام

وقال: من قصيدة فى الربيع مطلعها:

ألست ترى وشى الربيع المنمنما وما رصع الربعى فيه ونظما

وهذه القصيدة ختمها بقوله:

قم فاسقنى النص مما حرموه فما أرى من العيش حلواً غير ما قبل حرما

ويبدو مما سبق أن شاعرنا ابن وكيع كان لا يملك لسانه من الخروج عن حد الأدب والمساس بحرمة الدين، وهو فى حالة سكر أو سياق ظرف أو تماجن.

وهو فى ذلك يتبع خطوات أستاذه الحسن بن هانئ الذى قال:

ألم ترنى أبحت اللهو لنفسى ودينى واعتكفت على المعاصى

كأنى لا أعود إلى معاد ولا أخشى هنالك من قصاص

وكذلك قوله مجادلا:

وملحة بالعذل تحسب أننى بالعذل أترك صحبة الشطار

بكرت على تلومنى فأجبتها وأنى لا أعرف صحبة الأبرار

فدعى المكارم فقد أطعت غوايتى وصرفت معرفتى إلى الإنكار

ورأيت إتيانى اللذاذة والهوى وتعجلى عن طيب هذى الدار

أحرى وأحرم من تنظر آجل علمى به رجم من الأخبار

ما جاءنى أحد يخبر أنه فى جنة مذ مات أو فى نار

وهناك من مشاهير الشعراء من قال مثل هذا الكلام فى مرحلة يمكن أن نسميها المراهقة الفكرية، ومن ثم رجع عنه، وهذا كله لا يجب أن نأخذه

على الشاعر مأخذ الجد، فلقد عاش ابن وكيع جل حياته وهو صاحب لهو وزدقته كانت على سبيل التظرف مجاراة لروح العصر من جهة وسياق اللهو والتطرف ومجالس الشراب من جهة أخرى، فضلا عن قراءة ابن وكيع لشعر شعراء بالزندقة وسجنوا بسبب تتبع أعدائهم لسقطات ألسنتهم من خلال رواية أشعارهم حتى تصل إلى مسامع الحكام، والخلفاء، وكان على رأس هؤلاء الحسن بن هانئ وحماد عجرد ووالبه بن الحباب وبشار بن برد، وقد (ألقى الحسن بن هانئ فى سجن الزندقة وهو فى العشرين للمرة الأولى فلقى حماد عجرد فقال فى وصفه:

كنت أتوهم أن حماد عجرد أنما يرمى بالزندقة لمجونه فى شعره فحسب فتبين أن له متونًا يقرأ منها هو وأصحابه فى صلاتهم "ويبدو من الحديث استنكار أبى نواس ونفوره، حين ظهر له أن زندقة حماد عجرد حقيقة لا لهو"(١).

وأكبر الظن أن أبا نواس لم يكن يتزندق عن عقيدة، وأنما كان يظهر الزندقة تطرفًا وليس هو فى ذلك نسيج وحده، بل هو مثال من أمثلة كثيرة العدد تدل على روح العصر وليس أدل على ذلك من قول معاصره ابن مناذر فى محمد بن زياد:

يا بن زياد يا أبا جعفر ... أظهرت دينًا غير ما تخفى

مزندق الظاهر باللفاظ فى ... باطن إسلام فتعف

لست بزنديق ولكنما ... أردت أن توسم بالظرف(٢)

(١) (أبو نواس قصة حياته) عبد الرحمن صدقى ط، دار الهلال ص ٦٨.

(٢) المرجع السابق ص ٦٨.

ويمكن اعتبار ابن وكيع مثل ابن زياد المذكور، فتى مسلمًا عفيفًا، وكل ما فى الأمر أنه أراد أن يوسم بالظرف فادعى الزندقة تظرفًا. ويفهم ذلك من الرجوع إلى تعريف الوشاء حيث تتسم أشعار بن وكيع بخفة روح قارئها يحكم بأنها لشاعر مصرى، ولو لم يكن يعرف أنها لابن وكيع ولذلك نجد ابن وكيع يصف الغلام فى مربعته بقوله:

بخفة الروح احتوى صالحى ... فصرت لا أرغب فى الفلاح

والشكل والخفة فى الأرواح ... أملح ما يعشق فى الملاح

ويقول أستاذنا الدكتور حسين نصار عن ابن وكيع: "ويدل شعره على أنه كان على حظ كبير من الظرف وحفة الروح كما يدل إكبابه على الخمر على أنه كان على حظ من اليسار[1].

يقول أستاذنا الدكتور حسين نصار فى مقدمة كتابه عن ابن وكيع: "من أجمل المناظر دلالة على خفة روح شاعرنا وظرفه الدعوتان اللتان أنزلهما على حبيبة، والأقسام الثلاثة التى حلف فيها به، فالدعوة الأولى كان سببها ما يظهره الحبيب من مغالطة، إذ يدعى عدم سماعة بمرضه ويقسم على ذلك، فيدعو عليه ولكن بالرحمة، ويقول ابن وكيع:

فهم غالط منى فهما ... جاءنى يسال عما علما

مقسم ما بلغته علتى ... كاذب والله فيما زعما

كيف لم يبلغه عنى سقمى ... وهو المهدى إلى السقما

رزق المظلوم منا رحمة ... ثم لا أدعو على من ظلما

---

(١) ابن وكيع التنيسى شاعر الزهر والخمر ص ٣٥.

أما الدعوة الثانية، فألطف وأظرف يقول فيها:

إن كنت تعلم ما بى وأنت لست تبالى
فصار قلبك قلبى وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش تقيك نفسى ومالى

فهو يدعو إن كان يعلم ما أحل به ولا يأبه لذلك أن يصير قلبه عاقًا مثل قلبه، ثم يتغلب عليه حبه، فيتمنى له العيش الطيب تفديه نفسه وماله

أما الأقسام الثلاثة التى حلف فيها به وبمحاسنه فيقول فيها:

لا ووجه لك يبدى صفحة السيف الصقيل
وسواد الشعر الأسـ ـود فى الخد الأسيل
وعيون لك لا تطـ ـرف إلا عن قتيل
ما جميل الصبر عن مثـ ـلك عندى بجميل

فهذه الأقسام الثلاثة لون جديد طريف من الأقسام يتسم بالعذوبة والحلاوة والظرف وله قسم آخر أكثر ظرفًا وطرافه يقول فيه:

لا ووعد الوصل باللحـ ـظ على رغم الرقيب
واختلاس القبلة الحلـ ـوة من خد الحبيب
وسماع مستطاب جاء فى لفظ مصيب
ما سوى الراح لداء الـ هم عندى من طبيب

ومنها منظران ضاحكان مع عذول ينهاه عن الحب، ثم يرى الحبيب ولم يكن يعرفه فى أمره بحب مثله، أو يسأله عنه، فيعرفه أنه من يحبه، فيعتذر

له ويدرك أنه جدير بالحب وهى:

من غلاميات ابن وكيع ويقول فيها:

أبصره عاذلى عليه ... ولم يكن قبل ذا رآه

فقال لى لو هويت هذا ... ما لامك الناس فى هواه

قل لى إلى من عدلت عنه ... فليس أهل الهوى سواه؟

فظل من حيث ليس يدرى ... يأمر بالحب من نهاه؟

والمنظر الثانى يقول فيه ابن وكيع:

أقبل والعذال يلحوننى ... فكلهم قال من البدر

فقلت ذا من طال فى حبه ... منكم لى التعنيف والزجر

قالوا جهلنا فاغتفر جهلنا ... فليس عن ذا لامرئ صبر

عذرك فى الحب له واضح ... وما لنا فى لومنا عذر

وهناك منظر للحبيب وقد زاره المرض فازداد جناله حتى إن الأصحاء يتمنون أن يصيبهم ما أصابه من مرض ليزداد جمالهم فيقول له:

لو كان كل عليل ... يزداد مثلك حسنا

لكان كل صحيح ... يود لو كان مضنى

يا أكمل الناس حسنا ... صل أكمل الناس حزنًا

غنيت عنى ومالى ... وجه به عنك أغنى

ومنظر آخر لقبله ألذ من الصبوح فى يوم تكاثف غمامه وألذ من مر النسيم على المخمور اختلسهما من الحبيب فيقول فيها:

ظفـرت بقـبلة مـنك اختـلاسًـا وكنت مـن الرقـيب على حـذار

ألذ من الـصبـوح على غـمـام ومن برد الـنسـيم على خـمـار

ومنظر آخر: يصوره وهو شامت بقـبله الذى ينهاه عن الحب فلم يزدجر إلى أن وقع فى الحب الذى أوصله للمذلة فيقول:

لقـد شـمـت بقـلبى لا فـرج الله عـنه

كـم لمـتـه فـى هـواه فـقـال لابـد منه

ويستحلف ابن وكيع محبوبه ملتمسًا منه الصفح عن ذنوبه، وإن عاقب فليعاقب بغـير هجر لأنه لا يحتلمه، فاستحلفه بما فى عينيه من فـتور سحر وبعـذاره الذى خلع عذاره وبثـغره المبتسم عن ثناياه اللؤلؤية ذات الـرضاب الخمرى، فيقول فى ذلك:

بما بـعـينيك من فـتـون ومن فـتـور بهـا وسـحـر

وبـالـعـذار الـذى تـولـى خلـع عـذارى وبسـط عـذرى

ومـضـحك مـنك لـؤلؤى ممتـزج مـسكـه بخـمـر

جـد لى بـالصـفح عن ذنـوبى أو لا فـعـاقب بغـيـر هجـر

وبين الشاعـر أن عينه هى التى أوقعت فـؤاده فى الحب، وأن هذا قدره الذى لا مفـر منه وهو بذلك فى ظلام حالك وقد هجـر كل من سواه، برغم أنه لا ينال منه شيـئًا فلا زال حبـيبه مصـرًا على بخله مستـغنيًا عنه، وهو لا يسـتطيع الاسـتغناء عـنه وهو بذلك أكمـل الناس حزنًا، يضـحك للأعـداء وضميـره يبكى وقد أهزله كل ذلك حتى صـار غير من مرئى حـتى لو جاءه الموت فلن يراه، فيقول ابن وكيع:

قد رضينا من الغزال الكحيل بغرور العدات والتعليل

وهجرنا سواه وهو منيل وهو يناه وهو غير منيل

فكثير البغيض غير كثير وقليل الحبيب غير قليل

كل من سره حبيب جواد فلتطب نفسه بقرن طويل

وهو برغم كل ذلك يتلذذ بهذا العذاب ويطلب من الحبيب أن يزيد منه أن كان ويجد فيه راحة.

ومن كتاب غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلى بن ظافر الأزدى المصرى:

ورد قول ابن وكيع فى أكلة سمك يسمى سمك الراى وهو من أسماك النيل المعروفة حتى اليوم:

بدا لنا الراى الذى تلذ عينى منظره

فى قمص فضية أذيالها معصفرة

عوضه القالى بها غلائلا مزعفره

وافى به فما رأته العين حتى لم تره[1]

فكل هذه المقطوعات تتسم بالخفة والظرف واللطف وتتجلى فيها روح الشاعر المرحة التى تؤكد مصريته، وأنه جزء من نسيج البيئة المصرية.

(١) غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلى بن ظافر الأزدى المصرى. دار المعارف سنة